Journal Of the Iraqia University (75-2) January (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502

Journal Of the Iraqia University

available online at

https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

دور العلماء غير المسلمين في حضارة الاسلام

م.م. حيدرقاسم حاتم

جامعة ميسان/كلية التربية الاساسية / قسم التاريخ

The Role of Non-Muslim Scholars in Islamic Civilization

M.M. Haider Qasim Hatem

University of Maysan - College of Basic Education - Department of History

ahmefshreef1@gmail.com

الملخص:

تناولت الحضارة الإسلامية عبر تاريخها الطويل مسارًا علميًا وفكريًا متميزًا، جعل منها قوة حضارية شاملة ومؤثرة في التاريخ الوسيط. ويُبرز هذا البحث دور العلماء غير المسلمين – من نصارى ويهود وصابئة – الذين عاشوا في كنف الدولة الإسلامية، وأسهموا بفاعلية في بناء وتطوير العلوم الإسلامية، خاصة في العصرين العباسي والأندلسي. فقد برز هؤلاء العلماء في مجالات الطب، والفلك، والفلسفة، والترجمة، والمنطق، وغيرها، ولم تقتصر مساهماتهم على الترجمة فحسب، بل امتدت لتشمل الإنتاج المعرفي والتأسيس المفاهيمي.يسعى البحث إلى تسليط الضوء على هذه الإسهامات من خلال دراسة شاملة لثلاثة محاور: خصائص الحضارة الإسلامية وانفتاحها على التعدد، ومساهمات العلماء غير المسلمين في ميادين العلم، وأثرهم في تطور المجتمع الإسلامي وفي النهضة الأوروبية لاحقًا.ويهدف البحث إلى إبراز النموذج الحضاري التفاعلي الذي مثّلته الدولة الإسلامية، حيث تعايشت الأديان والثقافات تحت مظلة المعرفة، في تأكيد على أن الحضارة تُبنى بالتكامل لا بالإقصاء.**الكلمات المفتاحية:** **التسامح العلمي ، العلماء غير المسلمين ، العلوم في الحضارة الإسلامية**

Abstract:

Throughout its long history, Islamic civilization experienced remarkable scientific and intellectual growth, making it one of the most influential civilizations of the medieval era. This research highlights the significant role of non-Muslim scholars—Christians, Jews, and Sabians—who lived under Islamic rule and actively contributed to the development of Islamic sciences, especially during the Abbasid and Andalusian periods.These scholars excelled in medicine, astronomy, philosophy, translation, logic, and other fields. Their role was not limited to translation or copying, but extended to the production of knowledge and the founding of scientific concepts.The study focuses on three main axes: the theoretical and historical framework of Islamic civilization and its inclusive nature; the scientific contributions of non-Muslim scholars; and their internal and external impact on Islamic society and neighboring civilizations..The aim is to offer a methodological and objective reading that reveals how the Islamic state fostered a tolerant and open civilizational model, where diverse religions and cultures coexisted under the banner of knowledge—affirming that true civilization is built on interaction, inclusion, and cooperation, not exclusion.**Keywords:** Scientific Tolerance , Non-Muslim Scholars , Science in Islamic Civilization

المقدمة:

شهدت الحضارة الإسلامية عبر تاريخها الطويل تطورًا علميًا وفكريًا هائلًا، جعلها واحدة من أعظم الحضارات الإنسانية تأثيرًا في التاريخ الوسيط. وقد تميزت هذه الحضارة بطابعها العالمي التعددي، إذ لم تكن حكرًا على العرب أو المسلمين فقط، بل شارك في بنائها ورعايتها علماء ومفكرون من مختلف الأديان والطوائف والقوميات، ممن عاشوا في ظل الدولة الإسلامية، وساهموا في إثراء ميادين العلم والمعرفة والفكر.لقد كان غير المسلمين من نصارى ويهود وصابئة، شركاء فاعلين في تطور العلوم الإسلامية في مختلف العصور، وخصوصًا في العصر العباسي والأندلسي، حيث لعبوا أدوارًا بارزة في مجالات الطب، والفلسفة، والترجمة، والفلك، والرياضيات، والهندسة، وعلوم اللغة والمنطق. ولم يكن دورهم هامشيًا أو

ثانويًا، بل كانوا في كثير من الأحيان في موقع القيادة العلمية والتقنية داخل مؤسسات الدولة، مثل بيت الحكمة في بغداد، والمدارس الكبرى في الأندلس، والمراصد الفلكية، والبيمارستانات الطبية.ومع ذلك، فإن الدراسات التاريخية كثيرًا ما أغفلت إبراز هذا الدور، أو اختزلته في صورة المترجم أو الناسخ، دون إظهار حقيقته كمُنتِجٍ للمعرفة، ومؤسس للمفاهيم، ومشارك في بناء بنية العقل العلمي الإسلامي. ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث، الذي يسلّط الضوء على الدور الحضاري والمعرفي الذي أداه العلماء غير المسلمين داخل الحضارة الإسلامية، من حيث إسهاماتهم العلمية، وأثرهم الاجتماعي، وتأثيرهم على النهضة الأوروبية لاحقًا.ويناقش البحث هذه الإشكالية من خلال ثلاثة محاور رئيسة:الإطار النظري والتاريخي للحضارة الإسلامية، وخصائصها التي جعلتها قابلة للاحتواء والتعدد.مساهمة العلماء غير المسلمين في بناء العلوم الإسلامية عبر التاريخ. الأثر الداخلي والخارجي لهؤلاء العلماء في المجتمع الإسلامي وفي الحضارات المجاورة.ويهدف هذا البحث إلى تقديم قراءة علمية منهجية، تبيّن كيف استطاعت الدولة الإسلامية أن تُنتج نموذجًا حضاريًا مفتوحًا ومتسامحًا، تتعايش فيه الأديان والثقافات تحت راية العقل والمعرفة، وتؤكد أن الحضارة الحقيقية لا تبنى على الإقصاء، بل على التفاعل والاحتواء والتكامل.

أولًا: مشكلة البحث

رغم الإسهامات الكبيرة التي قدمها العلماء غير المسلمين في بناء الحضارة الإسلامية، إلا أن العديد من الدراسات التاريخية أهملت هذا الدور، أو اختزلته في الترجمة والنقل دون الاعتراف بمكانتهم كمبدعين ومؤسسين للمعرفة. تنطلق مشكلة البحث من هذا التغييب المنهجي، متسائلة:

ثانيًا: أهمية البحث

تتمثل أهمية هذا البحث في أنه:

- يُسلّط الضوء على جانب مهم ومغفَل من تاريخ الحضارة الإسلامية.
- يعيد الاعتبار للدور العلمي والحضاري الذي أداه غير المسلمين في ظل الدولة الإسلامية.
- يبرز النموذج التعددي المتسامح الذي ميّز الحضارة الإسلامية في عصورها الذهبية.
- يُسهم في تعزيز خطاب التعايش والانفتاح بين الثقافات والأديان في عصرنا الحالي.

ثالثًا: منهجية البحث

يعتمد البحث على:

- **المنهج التاريخي التحليلي** :من خلال دراسة المصادر التاريخية الإسلامية وغير الإسلامية المتعلقة بعصور الازدهار العلمي.
- **المنهج النقدي** :بمراجعة الصورة النمطية عن دور غير المسلمين وتفكيكها.
- **المنهج الوصفي** :لتوصيف نماذج العلماء غير المسلمين ومجالات إسهامهم العلمية والفكرية.

رابعًا: حدود البحث

- **الحد الزماني** :من بدايات العصر العباسي (القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي) حتى سقوط الأندلس (القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي.
- **الحد المكاني** :يتركز على مناطق بغداد والأندلس كمراكز للعلم والمعرفة.
- **الحد الموضوعي** :يركّز على إسهامات العلماء غير المسلمين في العلوم التطبيقية والعقلية داخل الدولة الإسلامية.

خامسًا: الدراسات السابقة

تناولت بعض الدراسات موضوع مشاركة غير المسلمين في الحضارة الإسلامية، لكن أغلبها اقتصر على الحديث عن الترجمة أو بعض الأسماء الشهيرة كحنين بن إسحاق أو يوحنا بن ماسويه، دون تقديم دراسة منهجية شاملة تُبرز مساهماتهم كبُناة للمعرفة. كما أن كثيرًا من هذه الدراسات كانت إما دفاعية أو سطحية، ما يؤكد الحاجة إلى دراسة علمية معمقة تعيد قراءة هذا الدور في سياقه التاريخي والحضاري الصحيح.

المبحث الأول الإطار النظري والتاريخي

أولًا: مفهوم الحضارة الإسلامية

- **تعريف الحضارة الإسلامية**

تُعدّ الحضارة الإسلامية من أعمق الظواهر التاريخية التي أثّرت في مسار الإنسانية، سواء من حيث امتدادها الجغرافي، أو عمقها الفكري، أو رسوخها في الوجدان الجمعي للأمم. وقد نشأت هذه الحضارة مع بزوغ فجر الإسلام في الجزيرة العربية، إلا أنها لم تكن امتدادًا قبليًا أو ثقافيًا ضيقًا،

بل كانت مشروعًا حضاريًا متكاملًا، تَشَكَّل على أُسس عقدية وأخلاقية وضعها القرآن الكريم، وفعّلها النبي محمد ﷺ في الواقع السياسي والاجتماعي والديني للدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة.إن مفهوم "الحضارة الإسلامية" يتجاوز التصور المادي الضيق للحضارة باعتبارها عمرانًا وتقنية، ليتناولها بوصفها مشروعًا رساليًا، يدمج بين البُعد الإيماني والإنساني، ويُقَدِّم رؤية متكاملة للوجود تقوم على التوحيد، والعدل، والعلم، والعمران، والتفاعل الثقافي. وهذا ما يُميّزها عن الحضارات الأخرى التي غالبًا ما نشأت على خلفيات قومية أو اقتصادية أو عسكرية **(الفاروقي، ١٩٨٦: ٢٩)**الحضارة الإسلامية، وفقًا لهذا التصور، ليست ملكًا للمسلمين فحسب، بل هي نتاج مشترك ساهم في بنائه المسلم وغير المسلم؛ العربي والعجمي؛ الموالي والذمي؛ العالم والناسج؛ الحاكم والمحكوم. وقد احتضنت شعوبًا متعددة في إطار دولة واحدة، دون أن تُجبِرها على صهر هويتها، بل أتاحت لها حرية العقيدة والمشاركة الثقافية، مما أوجد فسيفساء حضارية متنوعة حافظت على وحدتها في إطار التوحيد والقيم الأخلاقية **(جعيط، ١٩٩١ :٢٤)** ؛ **(محمد عمارة، ٢٠٠٦ :١٨)**ولذلك فهي "حضارة عالمية النزعة، أخلاقية التوجه، عقلانية المنهج، واقعية في تعاملها مع الحياة"، كما يصفها حسين مؤنس وهي أيضًا "نتاج التفاعل الحي بين النص الإسلامي والثقافات الحية في مختلف البيئات"، كما قال إسماعيل راجي الفاروقي (مؤنس،١٩٨٦: **٣٥)**وقد أشار المستشرق توماس آرنولد إلى هذه السمة بقوله: "من خصائص الحضارة الإسلامية قدرتها الفريدة على استيعاب الآخرين، دون أن تطمس شخصياتهم القومية أو الدينية.**(Arnold, 1913 :p.112)** "وبذلك، يمكن القول إن الحضارة الإسلامية ليست مجرد تاريخ أو جغرافيا، بل هي بناء إنساني عابر للزمن، شارك في صناعته أبناء أديان وأعراق مختلفة، وصاغت نموذجًا حضاريًا قادرًا على التفاعل مع التحديات دون أن يتخلى عن جوهره التوحيدي والرسالي.

- **الخصائص العامة للحضارة الإسلامية** إن الخصائص العامة للحضارة الإسلامية ليست مجرد سمات نظرية، بل هي مرتكزات عملية أثبتها التطبيق التاريخي عبر القرون، وأسهمت في تفرّد هذه الحضارة بين سائر الحضارات البشرية. وهي التي مكنتها من احتواء عناصر ثقافية متباينة، وصهرها في قالب حضاري موحد دون طمس الهويات الفرعية. ومن أبرز هذه الخصائص:

أولًا: الربّانية تقوم الحضارة الإسلامية على أساس عقدي يتمثل في الإيمان بوحدانية الله تعالى، وهي بذلك ليست حضارة وضعية أو نابعة من العقل البشري المجرد، وإنما تستمد أصولها ومبادئها من الوحي الإلهي، المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. وقد انعكست هذه الربانية على المنظومة الأخلاقية والقانونية التي أنتجتها هذه الحضارة، فجعلت من العدل قيمةً مركزية، ومن الإنسان مخلوقًا مكرمًا يحمل رسالة استخلاف في الأرض **(القرطبي، ٢٠٠٠: ١٢١)**؛ **(الفاروقي، ١٩٨٦: ٤١)**هذا الأساس الرباني منح الحضارة الإسلامية بعدًا روحيًا متمايزًا، إذ لم تفصل بين الدين والحياة، ولا بين الدنيا والآخرة، بل ربطت بين العمل الدنيوي والنية الأخروية، مما جعل من النشاط العلمي والتجاري والسياسي سلوكًا تعبديًا إذا اقترن بالإخلاص والنية الصالحة **(الغزالي، ١٩٨٦: ١٤).**

ثانيًا: الشمول والتكامل

تميزت الحضارة الإسلامية بكونها شاملة لكل نواحي الحياة، لا تقتصر على الدين أو الشعائر، بل تشمل النظام القانوني، والأسرة، والاقتصاد، والتعليم، والعلاقات الدولية. وقد نتج عن هذا الشمول منظومة حضارية متكاملة، تحفظ توازن الإنسان في جميع جوانب وجوده.

ففي حين اهتمت حضارات كاليونان بالفلسفة والسياسة، وركزت الحضارة الغربية الحديثة على التقنية والمادة، مزجت الحضارة الإسلامية بين العبادة والعمل، بين الزهد والعلم، بين الروح والعقل، فأنشأت أنظمة معرفية وعلمية تقوم على الوحي من جهة، والتجربة من جهة أخرى **(السباعي، ٢٠٠٧،:٣٦؛ عمارة، ٢٠٠٦،:٢٩).**

ثالثًا: الواقعية والمرونة راعَت الحضارة الإسلامية طبيعة الإنسان من حيث كونه مخلوقًا مركبًا من الروح والجسد، ومن العقل والغريزة. ولذلك جاءت تشريعاتها متوازنة، تجمع بين الثوابت والمتغيرات، بين النص والاجتهاد. فهي حضارة "واقعية" بالمعنى الإيجابي، تعترف بضعف الإنسان وحاجاته، وتضع له حلولًا عملية لا تبتعد عن فطرته.وقد اتضح هذا الجانب في تعدد آليات التشريع (القياس، الاستحسان، المصلحة المرسلة، سد الذرائع) التي منحت النظام الإسلامي مرونة عالية في الاستجابة للظروف التاريخية المختلفة دون الإخلال بالأصول **(البيانوني، ٢٠٠٤،:٥٧؛ القرضاوي، ١٩٩٣،:٨٣)**

رابعًا: الانفتاح الحضاري والتفاعل الثقافي لم تكن الحضارة الإسلامية منغلقة أو استعلائية، بل قامت على مبدأ "الحكمة ضالة المؤمن"، فاستفادت من الحضارات السابقة كاليونانية، والفارسية، والهندية، دون أن تفقد هويتها. وقد شهد العصر العباسي ذروة هذا الانفتاح، حيث تُرجمت كتب أرسطو وأفلاطون وجالينوس، واعتُمدت في تدريس الطب والمنطق والفلسفة، مع إخضاعها للمراجعة والنقد وفق المنظور الإسلامي.

وقد شارك في هذه النهضة التفاعلية علماء من غير المسلمين، ممن أسهموا في الترجمة والتأليف والتعليم، مثل يوحنا بن ماسويه، وحنين بن إسحاق، وابن العبري. وكان لهذا التفاعل دورٌ في ولادة علوم جديدة، كعلم الكلام والفلسفة الإسلامية، وهو ما عجزت عن تحقيقه حضارات أُخرى **(روزنثال، ١٩٧٠،:١١٢؛ سارتون، ١٩٢٧،:٢٣٤؛ مقدسي، ٢٠٠٦،:٦٦)**تُظهر هذه الخصائص أن الحضارة الإسلامية لم تكن مجرد امتداد سياسي للدولة الإسلامية، بل كانت بناءً معرفيًا وروحيًا وإنسانيًا متكاملًا. وقد أثبتت قدرتها على التفاعل مع الشعوب والثقافات دون إقصاء، وهو ما يتجلّى بوضوح في تجارب حضارية كالأندلس، والعراق العباسي، ومصر الفاطمية، حيث عاش المسلمون إلى جانب المسيحيين واليهود في بيئة علمية وثقافية أنتجت تراثًا مشتركًا ما زال العالم ينهل منه إلى اليوم **(عمارة، ٢٠٠٦،:٣١؛ يوسف، ٢٠١٤،:٧٣؛ جعيط، ١٩٩١،:٨٧).**

● دور المعرفة في ازدهار الحضارة الإسلامية تبوأت المعرفة في الحضارة الإسلامية مكانةً مركزية، ليس فقط بوصفها وسيلة نفعية لتحسين الواقع، بل باعتبارها قيمة دينية وأخلاقية ومجتمعية. فقد جعل الإسلام من طلب العلم فريضة، ومن العلماء ورثة للأنبياء، ومن الكلمة أداة للتغيير والتقدم. وجاء التأصيل لهذا التوجه في نصوص القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر : ٩]، وقوله: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، إلى جانب أحاديث نبوية مثل" :طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة"، مما جعل من العلم أحد أهم أعمدة البناء الحضاري **(السباعي، ٢٠٠٧،:٢٧؛ القرطبي، ٢٠٠٠، ج٤،:١٤٥)فالمعرفة "هي الجهد الذي يبذله الإنسان لفهم الواقع"، والمعرفة في شمولها تتضمن معارف علمية ومعارف غير علمية (بدن، ٢٠٢٣: ١٤٩)**لقد تأسس هذا الوعي المعرفي مبكرًا، منذ عصر النبوة، حين اتُّخذ المسجد مركزًا للعلم والتعليم، وحين شجّع النبي ﷺ الصحابة على تعلم اللغات والفلك والطب إلى جانب الدين. ومع التوسع الجغرافي للدولة الإسلامية، بدأت حاجة المجتمع إلى العلوم تتزايد، فظهرت التخصصات، وتأسست حلقات العلم في المساجد، ثم أُنشئت المدارس، والمكتبات، وبيوت الحكمة، مما أدى إلى تشكّل منظومة معرفية متكاملة.وكان من أبرز هذه المراكز "بيت الحكمة "في بغداد، الذي أسسه الخليفة المأمون في القرن الثالث الهجري (القرن التاسع الميلادي)، والذي ضمّ بين جدرانه علماء مسلمين وغير مسلمين من سريان، ويونانيين، ونصارى عرب، اشتغلوا في الترجمة من اليونانية والفارسية إلى العربية، وخصوصًا في ميادين الفلسفة والطب والرياضيات والمنطق **(الخطيب، ٢٠٠٣،:٧٥؛ مقدسي، ٢٠٠٦،:٦٦)**ومن الأسماء البارزة في هذا المجال:حنين بن إسحاق (نصراني نسطوري)، الذي ترجم كتب جالينوس وأبقراط إلى العربية.

يوحنا بن ماسويه، الذي عمل في البلاط العباسي طبيبًا ومترجمًا، وكان مديرًا لبيت الحكمة.عبد المسيح بن ناعمة الحمصي، الذي ترجم كتبًا فلسفية وأدبية مهمة.وقد ساعدت هذه الجهود في تعريب التراث العقلي السابق، وتأسيس مدرسة عقلانية إسلامية تفاعلت مع هذا التراث بوعي نقدي، وليس بالتلقي السلبي. فقد قام المسلمون، بعد الترجمة، بتحقيق وتعليق وتنقيح، بل وابتكار مدارس فكرية خاصة، كعلم الكلام، والمنطق الفقهي، والفلسفة الإسلامية، والرياضيات الرمزية **(روزنثال، ١٩٧٠،:١١٢؛ الزركلي، ٢٠٠٢، ج١،:٢٣٦)**ومع تطور هذه الحركية، برز جيل من العلماء المسلمين الذين تجاوزوا مرحلة التلقي إلى الابتكار والإبداع، مثل:محمد بن موسى الخوارزمي، الذي أسس علم الجبر، واخترع اللوغاريتمات، وتأثيره ظل ساريًا حتى عصر النهضة الأوروبية.أبو بكر الرازي، الذي كتب في الطب والكيمياء، وابتكر أساليب تجريبية حديثة.ابن سينا، الذي ألّف كتاب "القانون في الطب" وظل يُدرّس في أوروبا حتى القرن السابع عشر.البتاني والبيروني، اللذان أرسيا أسس علم الفلك والفيزياء.وقد نقل الأوروبيون هذه العلوم إلى بلادهم عبر الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا، وهو ما أدّى إلى ظهور أولى بذور النهضة في أوروبا. واعتبر جورج سارتون أن "الفترة ما بين القرنين التاسع والثالث عشر الميلادي كانت العصر الذهبي للإسلام، حيث كان العلماء المسلمون هم قادة الفكر في العالم" **(سارتون، ١٩٢٧،:٢٣٤)**وحتى العلماء غير المسلمين الذين عاشوا تحت راية الدولة الإسلامية، لم يكونوا مجرد مستفيدين من هذا المناخ، بل كانوا شركاء حقيقيين في إنتاج المعرفة، فشاركوا في تأليف الكتب، والتدريس، وترجمة الفلسفة، ووضع المصطلحات، وتطوير الأدوات العلمية، وهو ما يجعل من الحضارة الإسلامية نموذجًا متقدمًا في دمج المعرفة ضمن هوية حضارية مفتوحة ومتسامحة**(Arnold, 1913, p.117) ؛ (مورو، ٢٠١٢،:٨٨)ثانيًا: مكانة العلماء والمفكرين في الإسلام**

١-العلاقة بين العلماء والسلطة الحاكمةاتسمت العلاقة بين العلماء والسلطة السياسية في الدولة الإسلامية بتعقيد كبير، وتفاوت في أشكالها ومآلاتها، تبعًا لطبيعة المرحلة التاريخية، وشخصية العالم، وميول الخليفة أو الحاكم، فضلًا عن السياق الثقافي والاجتماعي. فقد جمعت هذه العلاقة بين التقارب والتنافر، التوظيف والاستقلال، التعاون والمواجهة، مما يعكس ديناميكية دور العلماء ومكانتهم في البنية الحضارية الإسلامية.في العديد من المراحل، أدرك الخلفاء أهمية العلماء في إضفاء الشرعية على الحكم، وفي ضبط المجتمع، وتوفير المشورة الدينية والقانونية، لذلك سعى بعضهم إلى التقرب من العلماء واستقطابهم ضمن أجهزة الدولة، لا سيما في مجالي القضاء والإفتاء .وقد مثّلت الدولة العباسية مثالًا بارزًا على هذا النمط، حيث عمل كثير من الفقهاء والمحدثين في بلاط الخلفاء، وأسندت إليهم مناصب عالية، مثل قاضي القضاة، ومشرفي الدواوين العلمية، كما كان

حال الإمام الشافعي لفترة، وعبد الله بن المبارك، ويحيى بن معين في مجال الحديث (النجار، ٢٠٠٢:٨١؛ الخطيب، ٢٠٠٣:١٠٥)لكن هذا التقارب لم يكن دائمًا مقبولًا لدى العلماء، إذ وقف بعضهم موقف الحذر أو الرفض من التورط في جهاز الدولة، خشية تسييس الفتوى أو خضوع العلم للسلطة، كما حدث مع الإمام أبي حنيفة النعمان، الذي رفض تولي القضاء في عهد الخليفة العباسي المنصور، مما أدى إلى حبسه وتعذيبه. وكذلك الإمام مالك بن أنس، الذي عارض بيعة الإكراه ورفض إصدار فتوى تدعم السلطة الأموية في المدينة، وهو ما يعبّر عن نزعة استقلالية واضحة لدى عدد من العلماء في علاقتهم بالسلطان (السباعي، ٢٠٠٧:٦٧؛ أبو زهرة، ١٩٧٨:١٤٣)وقد انقسم العلماء في مواقفهم من السلطة إلى ثلاثة أصناف:علماء السلطة :الذين ارتبطوا بالخلفاء سياسيًا وإداريًا.علماء الأمة :الذين حافظوا على استقلالهم، وكانوا يمثلون ضمير المجتمع.

علماء الاعتزال :الذين فضلوا الابتعاد عن الشأن العام، مكتفين بالتدريس والعبادةومن المهم أن نشير إلى أن العلاقة بين العلماء والسلطة لم تكن محصورة بالمسلمين، بل شملت أيضًا العلماء غير المسلمين ممن تميزوا في ميادين الطب والفلك والفلسفة. وقد استدعاهم الخلفاء العباسيون والأمويون في الأندلس للاستشارة أو الخدمة في الدولة. ومن أبرز الأمثلة :ابن الطيب النصراني، الذي شغل منصب الطبيب الخاص للخليفة القادر بالله، وكان أحد أهم علماء الطب في عصره، وحنين بن إسحاق، الذي تولى إدارة بيت الحكمة ببغداد، وأسهم في نقل العلوم اليونانية إلى العربية (شلبي، ١٩٩٣ :١٤١)؛ (Arnold, 1913 :p.119).هذا التقدير للعلم والعلماء، بصرف النظر عن ديانتهم، يعكس مدى مرونة الفكر الإسلامي، وانفتاحه على الكفاءة والمعرفة، ويؤكد أن السلطة الإسلامية، في ذروتها، كانت تدرك أهمية الاستفادة من العقول البشرية مهما كانت مرجعيتها العقدية، طالما التزمت بخدمة المصلحة العامة.لقد لعب العلماء في العديد من الحالات أدوارًا سياسية وإصلاحية كبرى، وكانوا صوتًا معارضًا للطغيان أحيانًا، ومحركًا للنهضة أحيانًا أخرى، كما حصل في الحراك العلمي والاجتماعي الذي قاده العز بن عبد السلام في مصر، وابن حنبل في محنة خلق القرآن، وهو ما جعل من العالم في التصور الإسلامي ليس فقط ناقلًا للعلم، بل فاعلًا حضاريًا ومُصلحًا اجتماعيًا (القرضاوي، ١٩٩٦ :٩١) ؛ (شلبي، ١٩٩٣ :١٤٧).

٢- التشجيع الإسلامي على العلم والتفكير

شكَّل العلم في التصور الإسلامي إحدى الركائز الأساسية التي بُنيت عليها الحضارة الإسلامية، ولم يكن مجرد وسيلة نفعية أو مظهرًا من مظاهر التطور، بل عُدّ في جوهره عبادة وقُربة إلى الله تعالى، وأداة للارتقاء الفردي والمجتمعي، ووسيلة لفهم السنن الكونية والاجتماعية. ومن هنا، ارتبط العلم في الإسلام بمبدأ التوحيد، لأن معرفة الإنسان للعالم تسهم في معرفته بخالقه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وهي آية تجعل الخشية ثمرة من ثمرات العلم، وتربط بين الإدراك العقلي والوجدان الإيماني (القرطبي، ٢٠٠٠، ج٥:٢٣٠)وقد رفع الإسلام من شأن العلم والعلماء، وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، كما في الحديث الشريف" :من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة(مسلم، كتاب الذكر والدعاء). كما جعل النبي ﷺ مداد العلماء خيرًا من دماء الشهداء، وهي مفارقة حضارية تعكس مدى تقدير المعرفة في الإسلام، وتؤكد أن مشروع الإسلام لم يكن مجرد إصلاح عقدي أو سياسي، بل تأسيس لمجتمع علمي مؤمن.إن هذا الاهتمام لم يكن قاصرًا على العلوم الشرعية فقط، بل شمل أيضًا العلوم العقلية والتجريبية، كالفلك، والطب، والكيمياء، والمنطق، والفلسفة. ولذلك نجد أن أغلب العلماء المسلمين الكبار، أمثال ابن سينا، والرازي، والبيروني، كانوا يجمعون بين دراسة الشريعة والطب والفلسفة والرياضيات، في آن واحد. وقد وفّرت الحضارة الإسلامية لهم مناخًا علميًا استثنائيًا، تُوّج بإنشاء المدارس النظامية، وبيوت الحكمة، والربط بين المساجد والتعليم، بل ومنح غير المسلمين حرية الدراسة والمشاركة العلمية دون إقصاء، وهو ما لم يتحقق في حضارات أخرى معاصرة (مقدسي، ٢٠٠٦ :٦٦) (روزنثال، ١٩٧٠:١٠١.)إضافة إلى ذلك، أدى نظام الوقف العلمي دورًا حيويًا في دعم العملية التعليمية، إذ خصص المسلمون أوقافًا لتأسيس المدارس، وشراء الكتب، وتمويل نسخها وتوزيعها، وصرف الرواتب للعلماء والطلاب. وكانت مكتبات الوقف في بغداد ودمشق وقرطبة والقاهرة تحوي مئات الآلاف من الكتب، متاحة للطلبة والباحثين من مختلف الأديان، مما جعل العالم الإسلامي متفوقًا حضاريًا على أوروبا التي كانت تعيش في العصور المظلمة (السباعي، ٢٠٠٧ :٤٥)؛ (أبو غدة، ٢٠٠٣ :١٢)وفي الوقت الذي كانت فيه الكنيسة الأوروبية تقمع التفكير الحر وتكفّر الفلاسفة، كانت الحواضر الإسلامية تزدهر بالمناظرات العلمية والفكرية، وتُعقد المجالس في المساجد والقصور لمناقشة قضايا الفقه، والمنطق، والطبيعيات. حتى أن الخلفاء أنفسهم، كالمأمون وهارون الرشيد، كانوا يرعون هذه المجالس، ويكرّمون العلماء ويستقدمونهم من مختلف البلدان.ولم يكن التشجيع على العلم نخبويًا أو خاصًا بالطبقة العليا، بل شمل النساء والأطفال، والفقراء والأغنياء، وبلغت نسبة المتعلمين في بعض المدن الإسلامية، كالفسطاط وبغداد، أعلى مما كانت عليه في أي مدينة أوروبية في القرون الوسطى (الخطيب، ٢٠٠٣ :٩١) ؛ (العمري، ٢٠٠٠ :٦٣)

بل الأكثر من ذلك، أن العلم في الإسلام لم يُربط بالعقيدة الدينية للمشارك فيه، ولذلك شارك النصارى واليهود والصابئة في البحث والتأليف، وأسهموا في إنتاج المعرفة، وهو ما يعكس الطابع التعددي المفتوح للحضارة الإسلامية، وقد علّق المؤرخ توماس أرنولد على ذلك بقوله: "لم يكن في العالم من حضارة أكثر تسامحًا مع غير المسلمين في التعليم والعمل والبحث العلمي من الحضارة الإسلامية في القرون الوسطى Arnold, 1913, p.120)."

٣-**المؤسسات العلمية ودورها في إنتاج المعرفة** لعبت المؤسسات العلمية في الحضارة الإسلامية دورًا حاسمًا في نقل المعرفة، وتطوير العلوم، وصقل الكفاءات الفكرية. ولم يكن إنتاج العلم مرتبطًا فقط بالأفراد، بل كان يعتمد على بنى مؤسسية راسخة، دعمتها الدولة والمجتمع، ووفّرت لها الإمكانيات المالية، والبشرية، والتنظيمية. لقد شكّلت هذه المؤسسات نموذجًا غير مسبوق في العالم القديم، وكانت تُقارن من حيث البنية والوظيفة بأرقى جامعات العالم الحديث (مقدسي، ٢٠٠٦:٤١)

أولًا: بيت الحكمة في بغداد يُعد "بيت الحكمة" أبرز مؤسسة علمية في التاريخ الإسلامي المبكر، وقد أسسه الخليفة هارون الرشيد ووسّعه ابنه المأمون في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي). كان هذا البيت مركزًا للترجمة والتأليف والتدريس والبحث، وضم مكتبة ضخمة، وقاعات للنقاش العلمي، وورشة للنسخ، ومراصد فلكية.تميز "بيت الحكمة" بانفتاحه على العلماء من مختلف الأديان؛ فقد عمل فيه علماء مسلمون إلى جانب نصارى وصابئة ويهود، وتولّى إدارته علماء نسطوريون مثل حنين بن إسحاق، الذي ترجم كتب الطب والفلسفة اليونانية. وقد وصفه جورج سارتون بأنه "أول أكاديمية علمية دولية في التاريخ الوسيط" (سارتون، ١٩٢٧،:٢٧٤)لقد كان لبيت الحكمة دور جوهري في نقل التراث اليوناني إلى الحضارة الإسلامية، ومن ثم إلى أوروبا، حيث أصبحت الكتب المترجمة فيه مصادر أساسية في جامعات الغرب لعدة قرون (النجدي، ٢٠١٥ :١٣٣)؛ (روزنثال، ١٩٧٠ :١١٨)

ثانيًا: المدارس النظامية تُعد "المدارس النظامية" نموذجًا للتعليم المؤسسي المنظم في الإسلام، وقد أسسها الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي في القرن الخامس الهجري. وكان الهدف منها مواجهة الحركات الباطنية بالفكر السني المعتدل، ولكنها تطورت لتكون جامعات شاملة تُدرّس الفقه، والأصول، والحديث، والمنطق، والفلسفة، والرياضيات.وقد وُضعت لها مناهج مفصلة، ورواتب للأساتذة والطلاب، ومكتبات ملحقة، وأوقاف ثابتة، مما منحها استقلالًا ماليًا وعلميًا .كما كانت النظم الإدارية والتعليمية فيها نموذجًا أوليًا لما أصبح لاحقًا هو نظام الكليات والجامعات الحديثة في أوروبا (مقدسي، ٢٠٠٦: ٥٩) ؛ (شلبي، ١٩٩٣،:١٦٣)

ثالثًا: المكتبات العامة والخاصة لم تُعرف أمة في القرون الوسطى بمثل ما عُرفت به الأمة الإسلامية من حبٍّ للكتب، والحرص على جمعها، ونسخها، وتداولها. وقد انتشرت المكتبات في جميع المدن الإسلامية الكبرى، منها:مكتبة قرطبة :كانت تضم ما يزيد على ٤٠٠,٠٠٠ مجلد.مكتبة العزيز بالله الفاطمي في القاهرة، التي احتوت ١.٦ مليون كتاب بحسب بعض المصادر .دار العلم في بغداد، والتي كانت مفتوحة للعلماء والباحثين دون تمييز ديني.وقد أنشأ الوقف الإسلامي هذه المكتبات، وخصص رواتب للنسّاخ والمشرفين، ووفر وسائل الإعارة والتنقل بالكتب. ولعبت دورًا ثقافيًا وتربويًا تجاوز مجرد الحفظ، إلى تشجيع التأليف والترجمة والنقد العلمي(السباعي، ٢٠٠٧:٥١)؛ (الخطيب، ٢٠٠٣:١٠٢) ؛ (العمري، ٢٠٠٠،:٨٤)

رابعًا: المساجد كمراكز تعليمية ظل المسجد المؤسسة العلمية الأولى في الإسلام، إذ بدأ التعليم في:در الإسلام من خلال حلقة رسول الله ﷺ في المسجد النبوي. وقد استمر هذا النمط لقرون، حيث كان الجامع يُدرّس فيه التفسير، والحديث، والفقه، واللغة، والمنطق، والرياضيات، كما حصل في:جامع الزيتونة في تونس.الجامع الأموي في دمشق.الجامع الأزهر في القاهرة.الجامع الكبير في قرطبة.وقد تخرج من هذه الجوامع كبار العلماء من المسلمين وغير المسلمين، الذين وجدوا في هذه البيئات حاضنًا حرًا للفكر والمعرفة (مقدسي، ٢٠٠٦ :٧٧)؛ (الزركلي، ٢٠٠٢: ٣٢٩)شكلت هذه المؤسسات العلمية الإسلامية نموذجًا عالميًا متقدمًا في تنظيم العملية التعليمية، وفي احتضان التنوع الديني والعرقي، وتقديم العلم بوصفه مشروعًا حضاريًا يتجاوز الحواجز العقائدية والسياسية. ولم يكن غريبًا أن تُبنى النهضة الأوروبية على ما أُنجز في هذه المؤسسات، وأن تكون الترجمات التي خرجت منها هي أساس التعليم في جامعات أوروبا حتى القرن السابع عشر الميلادي (مورو، ٢٠١٢: ٨٨) ؛(Arnold, 1913 p.122).

المبحث الثاني دور العلماء والمفكرين في تطور العلوم

يمثل هذا المبحث استعراضًا للجهود التي ساهم بها العلماء—مسلمون وغير مسلمون—في بناء وتطور الحقول العلمية داخل الحضارة الإسلامية. ويبيّن كيف أن التعدد الديني والثقافي لم يكن حاجزًا بل دافعًا للإبداع والتكامل العلمي.

أولًا: العلوم الدينية والإنسانية

١-**دور الفقهاء والمحدثين في تدوين العلوم الشرعية الإسلامية** كان تأسيس العلوم الشرعية في الحضارة الإسلامية خطوة فارقة في تاريخ تطور الفكر الإسلامي، فقد شكلت هذه العلوم البنية المعرفية التي قامت عليها المؤسسات الدينية والاجتماعية والسياسية في الدولة الإسلامية. وجاءت نشأة هذه العلوم استجابةً لحاجات عملية ملحة، أهمها ضبط العبادات والمعاملات، والفصل في القضايا الاجتماعية والقانونية، وتحديد العلاقة بين الإنسان وربه، وبين الدولة والمجتمع، مما استدعى تطوير أدوات معرفية دقيقة ومفاهيم منهجية متقدمة.بدأ هذا المسار مبكرًا في القرن الأول الهجري، حيث بدأ تدوين الأحاديث النبوية بشكل منظم في نهاية العصر الأموي، ثم تطورت تلك المحاولات في العصر العباسي لتشمل علم الحديث وعلومه، مثل علم الرجال، والجرح والتعديل، والمصطلح، ثم ظهر علم الفقه وأصوله، الذي تبلور على يد علماء أمثال الإمام الشافعي، الذي يُعد واضع أول منهج علمي لعلم الأصول في كتابه "الرسالة". كما ظهرت مبكرًا المدونات الفقهية الكبرى مثل "الموطأ" للإمام مالك، و"الأم" للإمام الشافعي، ومصنفات أبي حنيفة وتلامذته، التي شكّلت لاحقًا مرجعًا رئيسًا في المدارس الفقهية الإسلامية (السبكي، ٢٠٠١ :٧٣)؛ (ابن خلدون، ٢٠٠٤ :٣٤٥)كما طُوِّرت علوم القرآن، ومنها: علم التفسير، علم القراءات، علم أسباب النزول، وغيرها، وكلها كانت تهدف إلى تحقيق الفهم الصحيح للنص القرآني بوصفه المصدر الأساسي للتشريع. وأنتجت هذه العملية تراكمًا معرفيًا واسعًا شمل الملايين من الصفحات المدونة، ما دفع إلى الحاجة إلى حرفيين ونساخ ومنقحين يعملون في نسخ هذه الكتب وتوزيعها في المراكز العلمية، مثل الكوفة والبصرة وبغداد والموصل ودمشق والقاهرة وقرطبة.وفي هذا السياق، لعب العلماء غير المسلمين دورًا مكمّلًا ومساندًا في هذا الحقل العلمي الديني، من خلال وظائف النسخ، الترجمة، والتدقيق اللغوي، خاصة في المراكز الثقافية الكبرى مثل بغداد وحران، حيث عمل عدد من النصارى السريان واليهود في دور النسخ والمكتبات التابعة للدولة أو التي أوقفها الخلفاء والعلماء. ويُذكر أن بعض أطباء الخلفاء، الذين كانوا من غير المسلمين، ساهموا أيضًا في جمع الكتب وتنظيم المكتبات، مثل حنين بن إسحاق، الذي كان طبيبًا ومترجمًا ومديرًا لبيت الحكمة في بغداد، وقد أشرف على نسخ وتوثيق العديد من الكتب في الطب والدين والفلسفة والمنطق، مما جعله من العناصر الأساسية في البنية المؤسسية للعلم في الدولة العباسية (الزركلي، ٢٠٠٢: ٢٥٨)؛ (Brockelmann, 1947 :p.91)؛ (Gutas, 2001 :p.144).

٢- **إسهامات علماء اللغة في تطوير النحو والصرف** تطورت علوم اللغة العربية في إطار الحاجة الملحّة إلى فهم القرآن الكريم وصونه من اللحن والتحريف، وقد بدأ هذا المسار مع أبي الأسود الدؤلي في القرن الأول الهجري، عندما كُلّف بوضع أولى قواعد النحو بأمر من الخليفة علي بن أبي طالب، ثم تطورت هذه القواعد على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي، مؤسس علم العَروض والمعاجم، وتلميذه سيبويه، مؤلف كتاب "الكتاب" الذي يُعد مرجعًا نحويًا كلاسيكيًا.لكن هذه النهضة لم تكن ذات طابع مغلق أو أحادي، بل كانت مفتوحة على المعطيات الفكرية واللغوية المتداولة في البيئات الثقافية التي دخلها الإسلام .وهنا برز دور العلماء غير المسلمين، وبخاصة النصارى السريان واليهود، الذين كانوا على دراية عميقة باللغات الكلاسيكية كالسريانية واليونانية والفهلوية، إضافة إلى العربية التي كانت لغتهم الإدارية والثقافية، ما أهّلهم للمشاركة في حركة الترجمة العلمية واللغوية التي شهدها العصر العباسي، وساهموا بذلك في نقل وتشكيل المصطلحات العلمية والفكرية بلغة عربية دقيقة.لقد لعبت مدارس الرُها ونصيبين وحرّان في شمال العراق دورًا كبيرًا في إعداد نُخَب من النصارى السريان الذين ساهموا في حركة الترجمة، حيث كانت هذه المدارس تُدرّس النحو والمنطق باللغة السريانية، وهي لغة ذات بناء نحوي معقّد، مما منح طلابها خلفية عميقة لفهم قواعد اللغة العربية من منطلق مقارن. وقد ساعد هذا على: صياغة قواعد الإعراب، وضبط المفاهيم النحوية والمنطقية التي ستُستعمل لاحقًا في التفسير، والفقه، والعلوم العقلية (عطية، ٢٠٠٩: ١٠١) ؛(Endress, 2006: p.135).**من أبرز هؤلاء العلماء:**حنين بن إسحاق، الذي لم يكن نحويًا فقط، بل كانت ترجماته دقيقة لغويًا، اعتمد فيها على قواعد النحو لضبط المعنى الدقيق للمصطلحات العلمية.يوحنا بن البطريق، الذي ترجم كتب أرسطو وأفلاطون من اليونانية إلى العربية، مستخدمًا مصطلحات لغوية نحوية دقيقة ساعدت في تشكيل اللغة الفلسفية الإسلامية.سرجيس الرأسعيني، أحد أوائل المترجمين السريان، الذين نقلوا نصوص الجدل والمنطق الأرسطي إلى العربية عبر السريانية، وراجعها لغويًا ليواكب المصطلح العربي.لقد أسهم هؤلاء في بلورة المصطلح العلمي العربي في المراحل الأولى، ما جعل الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية عمليةً تتجاوز النقل الحرفي إلى إعادة تشكيل معرفي وثقافي وهذا الجهد اللغوي كان له تأثيرٌ كبير على النحو والصرف العربي، من خلال إدخال منهجيات جديدة في التحليل اللغوي، واستخدام أدوات المنطق، والتمييز بين الدلالة اللفظية والدلالة المعنوية، وهي أدوات أفادت علم النحو في ضبط العلاقة بين المعنى والتركيب (طه، ٢٠٠٤ :١٤٢) ؛ (Brockelmann, 1947: p.63).كما تجلى هذا التأثير أيضًا في المعاجم العربية الأولى مثل "العين" و"التهذيب"، حيث ساهمت المناهج اللغوية المقارنة في توسيع مفاهيم الاشتقاق، والدلالة، والتقعيد، مما أسهم في إنشاء لغة علمية معيارية موحدة، قادرة على حمل العلوم والمفاهيم الجديدة

التي تُنتَج في الحضارة الإسلامية، أو تُترجم إليها من اللغات الأخرى .ومن الجدير بالذكر أن الانفتاح على النخب غير المسلمة في هذا المجال لم يكن ترفًا معرفيًا، بل ضرورة حضارية، لأن عملية "تعريب العلم" لم تكن ممكنة لولا مشاركة أصحاب الثقافات السابقة، ممن كان لديهم إلمامٌ عميق بالمصطلح والمنطق والنحو، وهو ما يؤكد أن الحضارة الإسلامية تشكّلت في بيئة تعددية انصهرت فيها الطاقات على قاعدة خدمة المعرفة (Gutas, Morrow, 2012, p.91؛2001, p.144).

٣-**تأثير الفلسفة الإسلامية على الفكر الأوروبي**شهدت الفلسفة الإسلامية في العصور الوسطى تطورًا فريدًا من نوعه، حيث لم تُكتفِ الحضارة الإسلامية بنقل التراث اليوناني بل أعادت تشكيله، وربطته بالسياق الإسلامي العقائدي، فأنتجت تيارًا فلسفيًا جديدًا يمزج بين العقل والوحي، ويفتح باب التأمل في الوجود والماهية والمعرفة بشكل لم تعرفه أوروبا منذ أفول مدرسة الإسكندرية.وقد بدأت حركة الفلسفة الإسلامية بالتوازي مع نهضة الترجمة في العصر العباسي، التي قام بها بالدرجة الأولى علماء غير مسلمين من النصارى السريان، مثل حنين بن إسحاق وابن ناعمة الحمصي وقسطا بن لوقا، الذين ترجموا مؤلفات أفلاطون وأرسطو وجالينوس من اليونانية والسريانية إلى العربية. لم تكن هذه الترجمة حرفية، بل خضعت لعمليات مراجعة ونقد وإعادة صياغة لغوية وفكرية، مما مهّد لظهور طبقة جديدة من الفلاسفة المسلمين الذين تفاعلوا مع هذه النصوص بروح نقدية (Gutas, 2001: p.95 ؛(Endress, 2006 :p.145)في هذا السياق، برز الكندي باعتباره أول فيلسوف عربي مسلم، حاول التوفيق بين تعاليم الإسلام والفكر الأرسطي. ثم جاء الفارابي ليبني نظامًا فلسفيًا متكاملاً حول المدينة الفاضلة، وتبعه ابن سينا الذي عمّق البحث في النفس والمنطق والميتافيزيقا، مؤلفًا كتاب "الشفاء" و"النجاة" و"الإشارات والتنبيهات"، وهي أعمال لا تقل أهمية عن مؤلفات أرسطو أو أفلاطون من حيث منهجيتها. أما ابن رشد، فقد كان العلامة الفارقة في تاريخ الفلسفة الإسلامية، إذ أسهم في شرح أرسطو وإعادة تقديمه بلغة عقلانية واضحة، مما جعله مصدرًا رئيسًا للفكر الأوروبي فيما بعد (السباعي، ٢٠٠٧ :٦١) ؛ (Nasr, 2001 :p.118)ولم يكن النشاط الفلسفي حكرًا على المسلمين، بل شارك فيه مفكرون غير مسلمين مثل ابن العبري (غريغوريوس أبو الفرج)، وهو عالم لاهوت وفيلسوف نصراني من أصول سريانية، ألّف كتبًا فلسفية باللغة السريانية والعربية، واشتغل على قضايا الوجود والخلود والمعرفة. وقد نال احترامًا كبيرًا من العلماء المسلمين، واعتمد بعضهم على مصنفاته في الفلسفة والمنطق.(Brockelmann, 1947, p.177) ومع انتقال الإرث الفلسفي الإسلامي إلى أوروبا، خاصة عبر الأندلس وصقلية، لعب اليهود والنصارى المترجمون دورًا محوريًا في نقل كتب الفلاسفة المسلمين إلى اللاتينية والعبرية .ففي مدينة طليطلة بالأندلس، نشطت حركة الترجمة بقيادة علماء مثل دومينيك غونديسالفوس، وميخائيل سكوت، وجيراردو الكريموني، الذين ترجموا مؤلفات ابن سينا وابن رشد والكندي من العربية إلى اللاتينية، فدخلت إلى جامعات باريس وبولونيا وأكسفورد وكمبردج في القرن الثاني عشر الميلادي(Arnold, 1913 :p.125) ؛ (Fakhry, 2002 p.99).:تأثر مفكرو الفكر المدرسيScholasticism ، مثل توما الأكويني وألبرت الكبير، بشروح ابن رشد، بل إن بعضهم أسس ما عُرف بـ "الرشدية اللاتينية"، التي تبنت منطق ابن رشد وأسلوبه الجدلي، واستلهمت منه في حسم المسائل اللاهوتية والفلسفية. ولذا قال إرنست رينان" :إن ابن رشد لم يكن فقط ناقلاً للفلسفة، بل معيدًا لصياغتها، وأن أوروبا تدين له ببوادر النهضة العقلانية.(Rénan, 1866, p.42) "

ثانيًا: العلوم الطبيعية والتطبيقية

١-**الطب والصيدلة (ابن سينا والزهراوي أنموذجًا)**بلغ الطب في الحضارة الإسلامية مرحلة من النضج والتقدم قلّ نظيرها في العصور الوسطى، حتى وُصفت المستشفيات الإسلامية آنذاك بأنها أرقى مؤسسات الرعاية الصحية والتعليم الطبي في العالم القديم. وقد جمع الطب الإسلامي بين الخبرة الإغريقية والهندية والسريانية من جهة، وبين المنهج التجريبي والتحقيق العلمي من جهة أخرى، فأسس تقاليد طبية استمر أثرها حتى العصر الحديث (السباعي، ٢٠٠٧ :٨٥.)وقد برز في هذا المجال اثنان من أعظم أطباء الإسلام:ابن سينا (٩٨٠-١٠٣٧م) صاحب موسوعة "القانون في الطب"، التي تُعد من أكثر الكتب تأثيرًا في التاريخ الطبي، حيث تُرجم إلى اللاتينية واعتمدته جامعات أوروبا حتى القرن السابع عشر. جمع ابن سينا بين علم التشريح والفلسفة والدواء وعلم النفس، وابتكر تصنيفات للأمراض وطرائق للعلاج الفيزيائي والنفسي.الزهراوي (٩٣٦-١٠١٣م) :طبيب أندلسي، يُعد مؤسس الجراحة العلمية، ومؤلف موسوعة "التصريف لمن عجز عن التأليف"، التي تضم أكثر من ٢٠٠ أداة جراحية، ووصفًا دقيقًا للعمليات، مثل الولادة القيصرية واستئصال الحصى والكسور (الزركلي، ٢٠٠٢ :٢١٤) ؛(Nasr, 2001 :p.147).لكن الملاحظ أن تطور الطب لم يكن حكرًا على العلماء المسلمين، بل أسهم فيه عدد كبير من الأطباء غير المسلمين، خاصة النصارى السريان واليهود، ممن ساهموا في بناء الطب الإسلامي نظريًا وتطبيقيًا، وكان لهم دور بارز في مؤسسات الدولة العباسية والفاطمية والأندلسية.من أبرز هؤلاء:آل بختيشوع :أسرة نسطورية سريانية تولّت رئاسة الأطباء في بغداد لمدة ثلاثة قرون، وكانت تُدرّس الطب في "بيمارستان الرشيد."يوحنا بن ماسويه :طبيب نصراني تولّى إدارة بيت الحكمة، وأشرف على ترجمة كتب الطب اليونانية، وكتب مؤلفات في الحميات والتشريح.أبو زكريا الترجمان :طبيب يهودي الأصل عمل في

بلاط العباسيين، وكان يترجم الكتب الطبية من السريانية إلى العربية، وأسهم في نقل تجارب مدارس جنديسابور إلى بغداد (الخطيب، ٢٠٠٣ :١٢٢)؛(Brockelmann, 1947 :p.192).تميزت المستشفيات الإسلامية – أو البيمارستانات – بأنها مؤسسات متعددة الوظائف، كانت تشمل: العلاج المجاني لجميع الناس.التعليم الطبي للطلاب على يد أطباء مختصين وجود سجلات للمرضى ووصفات مكتوبة.وحدات خاصة للطب العقلي، وعيادات خارجية، وقاعات للعزل الصحي.وقد عمل في هذه المستشفيات أطباء من مختلف الأديان بلا تفرقة، وهو ما وصفه توماس أرنولد بقوله":لم تُعرف مؤسسة طبية في القرون الوسطى تضاهي البيمارستان الإسلامي في بغداد من حيث التسامح والتكامل المهني، حيث كان يعمل فيها المسلم والمسيحي واليهودي جنبًا إلى جنب، يتقاضون الأجور ذاتها، ويشاركون في المؤتمرات الطبية دون تمييز (Arnold, 1913, p.130) .

ومن السمات اللافتة أن هؤلاء الأطباء لم يقتصر دورهم على العلاج، بل شاركوا في العملية التعليمية والبحث الطبي، فكان بعضهم يُدرّس الطب لطلبة المسلمين، ويؤلف كتبًا تُقرأ في المدارس النظامية والبيمارستانات. كما نقلوا إلى العربية تراث جالينوس، بقراط، وديسقوريدس، وأضافوا عليه عبر التجربة والتحقيق والملاحظة السريرية، ما شكل مع الزمن نسيجًا معرفيًا متكاملًا أطلق عليه المؤرخون اسم "الطب الإسلامي."إن الشراكة العلمية بين المسلمين وغير المسلمين في ميدان الطب تجسدت بأبهى صورها، حيث لم تكن الهوية الدينية معيارًا في تقييم الكفاءة، بل كان الاعتراف بالعلم والقدرة والخبرة هو المعيار الوحيد .وهذا ما ساعد على تراكم المعرفة الطبية وترسيخ أخلاقيات المهنة، كما أن أطباء غير مسلمين نالوا ألقابًا فخرية من الخلفاء، بل وشاركوا في المؤتمرات الطبية في بغداد ودمشق وقرطبة (النجدي، ٢٠١٥،:١٦٥) ؛(Nasr, 2001, p.152) .

٢- الرياضيات والفلك (الخوارزمي والبتاني أنموذجًا)شهدت العلوم الرياضية والفلكية في الحضارة الإسلامية ازدهارًا غير مسبوق، وشكلت معالم بارزة في التاريخ العلمي العالمي، بل كانت القاعدة التي انطلقت منها النهضة الأوروبية في هذه الحقول. وتميز هذا الازدهار بأنه لم يأتِ نتيجة النقل فقط، بل كان نتيجة إبداع وتطوير واستقلال منهجي، وهو ما ميّز العلماء المسلمين والمشتغلين معهم من غير المسلمين عن غيرهم من الأمم المعاصرة لهم.

● ريادة الخوارزمي يُعد محمد بن موسى الخوارزمي (ت. نحو ٨٥٠م) حجر الأساس في تطور الرياضيات الإسلامية، بل والرياضيات العالمية. فقد كان أول من أسس علم الجبر كعلم مستقل عن الحساب، وألف كتابه الشهير "الكتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة"، الذي ترجم إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر، وظل يُدرّس في جامعات أوروبا حتى القرن السادس عشر. كما وضع الخوارزمي الجذور الأولى لما يُعرف اليوم بـ "الخوارزميات(Algorithms) "، نسبةً إلى اسمه، والتي أصبحت أساس علم الحوسبة الحديثة(Nasr, 2001 :p.142) ؛ (سارتون، ١٩٢٧ :٣١٠).

● الجداول الفلكية الدقيقة عند البتاني أما محمد بن جابر البتاني (ت. ٩٢٩م) فقد برز كواحد من أعظم علماء الفلك في الإسلام، بفضل دقته في الرصد الفلكي، وتصحيحاته المهمة للجداول الفلكية. وقد قدّم أول وصف دقيق لانحراف الشمس، وتحديدًا لحركة الأوج الشمسي، كما طوّر حسابات طول السنة الشمسية بدقة فائقة. وقد تُرجمت أعماله إلى اللاتينية، وتأثر بها فلكيون أوروبيون كبار مثل كوبرنيكوس وكبلر في تطوير نظرياتهم الفلكية الحديثة (Sarton, 1927 : p.312) ؛ (Brockelmann, 1947 : p.223)

● مساهمة العلماء غير المسلمين في حقل الرياضيات والفلك رغم أن الخوارزمي والبتاني كانا مسلمين، فإن تطور هذه العلوم لم يكن ممكنًا دون مساهمة العلماء غير المسلمين، خصوصًا الصابئة من حران، الذين شكّلوا طبقة علمية متقدمة، وكان لهم دور رئيسي في ترجمة علوم بطليموس وأرخميدس وإقليدس، ثم مراجعتها وتطويرها.ثابت بن قرة (ت. ٩٠١م)، الفيلسوف الرياضي الصابئي الشهير، كان من أبرز من اشتغل في الرياضيات والفلك والهندسة والفيزياء صحح مفاهيم هندسية لليونان، وابتكر طرقًا في تحليل المعادلات. كما وضع نظريات في الميكانيكا والموائع لا تزال تُذكر في تاريخ العلم.سِنان بن ثابت، ابنه، واصل نشاطه في الترجمة والتأليف، وشارك في إدارة بيمارستانات بغداد، وابتكر آلات رصد فلكي، وساهم في تحسين أدوات الرصد وزيادة دقتها(Brockelmann, 1947 :p.223) ؛(Gutas, 2001 :p.148).وقد كانوا جزءًا من نخبة العلماء العاملين في بيت الحكمة ببغداد، وكان لهم الحق في التدريس، والبحث، والنشر، بغض النظر عن خلفيتهم الدينية، وهو ما يُعدّ تجسيدًا عمليًا للتسامح المعرفي الذي طبع روح الحضارة الإسلامية (مقدسي، ٢٠٠٦ :٧١)؛ (Morrow, 2012:93).

● الانتقال إلى أوروبا وتأثيره جرت ترجمة الأعمال العلمية العربية إلى اللاتينية والعبرية في الأندلس وصقلية منذ القرن الثاني عشر، خاصة في مراكز مثل طليطلة وبرشلونة ومونبلييه، بواسطة يهود ونصارى عملوا على نقل التراث العلمي الإسلامي إلى أوروبا.وقد كان لكتاب الخوارزمي في الجبر، وجدول البتاني الفلكي، وأعمال ثابت بن قرة الهندسية، أثر بالغ في تطوير علوم الحساب والفلك في الجامعات الأوروبية .واعتُبر الخوارزمي "أبو الجبر"، والبتاني "منجم أوروبا"، وثابت بن قرة "من مؤسسي الميكانيكا الكلاسيكية(Endress, 2006 :p.187) ؛(Gracia, 2012 :p.104) .

٤- **مراكز العلم والتعليم (الهندسة والمعمار الإسلامي)**أسهمت مراكز التعليم والإنتاج العلمي في الحضارة الإسلامية—كالمدارس، والمساجد، والمراصد، والمكتبات—بدور مركزي في نشر العلوم الهندسية والعمرانية، وأسّست لنهضة معمارية امتازت بالدقة والجمال والوظيفة. لقد كان المعلم المعماري الإسلامي امتدادًا للمعرفة العلمية الرياضية، وقائمًا على التفاعل بين الفلك، والهندسة، والحساب، والذوق الفني، ولم يكن مجرد بناء، بل تجسيدًا حضاريًا لمبادئ التوحيد، والتناغم، والنظام.

● بنية المراكز العلمية والمرصدية في مراكز مثل مرصد مراغة ومرصد سمرقند، وفي المدارس النظامية الكبرى في بغداد، ودمشق، والموصل، ونيشابور ، استخدمت المعارف الهندسية في تصميم القاعات، تحديد اتجاه القبلة، وضبط المحاريب بدقة فلكية، وهو ما يتطلب خبرات عالية في علم المساحة، والمثلثات، والبناء المقنطر. وقد شارك في هذه المشاريع علماء مسلمون ومهندسون من غير المسلمين ممن امتلكوا المهارات الفنية والمعمارية، وعملوا ضمن منظومة علمية موحدة (الشمري، ٢٠١٨: ٩٧)؛ (Endress, 2006 :p.156).

● العمارة الإسلامية ودمج الثقافات كانت العمارة الإسلامية نموذجًا حيًّا للتداخل بين الثقافات، حيث ظهرت أساليب زخرفية وإنشائية مستمدة من التراث البيزنطي والسرياني والقبطي، لكنها أُعيدت صياغتها ضمن الروح الإسلامية. ويُعزى ذلك إلى أن عددًا كبيرًا من البنّائين والنحاتين والمزخرفين الذين عملوا في المشاريع المعمارية الإسلامية كانوا من النصارى واليهود، خاصة في الشام ومصر والأندلس، وقد أتيحت لهم حرية المساهمة والابتكار في إطار واضح من التعاون الحرفي والمعرفي. ومن أبرز هذه الأساليب: تقنيات القباب والعقود والأقواس :وهي مستوحاة من العمارة البيزنطية، لكنها طُوّرت لتناسب متطلبات المساجد والقصور الإسلامية، وتكيّفت مع العناصر الجمالية القرآنية والخط العربي.الفُسيفساء والزخرفة النباتية والهندسية :وقد كان لهذه الفنون أصول رومانية وسريانية، لكن المهندسين المسلمين وغير المسلمين دمجوها في نسق فني رمزي يعكس مفهوم "الوحدة في التعدد"، وهو مبدأ مركزي في الفن الإسلامي(Grabar, 1987 :p.81) ؛ (الزركلي، ٢٠٠٢:،١٨٨ الأمثلة الميدانية: قرطبة ودمشق والفسطاط في قرطبة، عملت فرق بناء تضم مسلمين ويهود ونصارى في تشييد جامع قرطبة الكبير، الذي جمع بين الأعمدة الرومانية والأقواس الحمراء والبيضاء ذات النمط السرياني. في الفسطاط والقاهرة الفاطمية، ساهم المعماريون الأقباط في إنشاء القصور والمستشفيات، وخصوصًا في النقوش الحجرية والأسقف الخشبية المنقوشة. في دمشق، كان جامع بني أمية نموذجًا لتلاقح الفن البيزنطي مع الزخرفة الإسلامية، وشارك في زخرفته عدد من الفنانين المسيحيين المحليين (الشمري، ٢٠١٨ :٩٩) ؛(Creswell, 1958 :p.27)

● الحروب الصليبية والانتقال إلى أوروبا لم تكن هذه العمارة الإسلامية مؤثرة فقط داخل العالم الإسلامي، بل امتد تأثيرها إلى أوروبا، خاصة بعد الحروب الصليبية، حيث شاهد الفرنجة لأول مرة الدقة المعمارية الإسلامية، مثل: الأقواس المدببة. نوافذ الموشورات. القباب الدقيقة. تخطيط المدن وفق هندسة وظيفية. وقد نقل الصليبيون هذه التقنيات إلى أوروبا، فتجلت في العمارة القوطية (Gothic Architecture) في فرنسا وألمانيا، مثل كاتدرائية شارتر وريمز ، التي أظهرت تقنيات مستوحاة من المشرق الإسلامي(Grabar, 1987, p.84) ؛(Morrow, 2012, p.90)

المبحث الثالث أثر العلماء والمفكرين في المجتمع الإسلامي والعالمي

يتناول هذا المبحث الأثر الذي خلّفه العلماء، وخصوصًا غير المسلمين، في تشكيل الحياة الفكرية والاجتماعية في الدولة الإسلامية، سواء من الداخل (داخل المجتمع الإسلامي) أو على مستوى التأثير في الحضارات الأخرى. وينقسم هذا المبحث إلى محورين رئيسيين:

أولاً: التأثير الداخلي

١- **دور العلماء في النهضة داخل العالم الإسلامي** إن النهضة التي شهدها العالم الإسلامي بين القرنين الثالث والسابع الهجري (التاسع إلى الثالث عشر الميلادي) لم تكن مجرد طفرة علمية معزولة، بل كانت نتاج مشروع حضاري متكامل شاركت فيه أطراف متعددة، من مختلف الخلفيات الدينية والثقافية. وقد تميز هذا المشروع بأنه جامع لا إقصائي، حيث احتضنت الدولة الإسلامية عقولًا من المسلمين وغير المسلمين، وأسندت إليهم مناصب ومهام علمية مهمة، ووفّرت لهم الحماية والرعاية والمؤسسات التي مكنتهم من التفوق والإبداع.وقد أسهم العلماء في هذه النهضة من خلال ثلاثة أوجه رئيسية:إنتاج المعرفة وتأصيلها تطوير بنية التعليم ومناهجه إثراء الحياة الثقافية والفكرية العامة وقد كان لغير المسلمين دور فعّال في كل من هذه المحاور، خاصة في المدن الكبرى مثل بغداد، التي كانت قلب الدولة العباسية، ودمشق عاصمة الأمويين، والقاهرة الفاطمية، وقرطبة عاصمة الأندلس. كانت هذه المدن تشهد حراكًا فكريًا ومعرفيًا هائلًا، وكانت تضم حلقات دراسية ومجالس مناظرة يشارك فيها المسلمون واليهود والنصارى والصابئة معًا.ومن أبرز العائلات والمؤسسات التي شكّلت نواة هذه النهضة العلمية:

● أسرة آل بختيشوع وهي عائلة نسطورية سريانية الأصل، كان معظم أفرادها أطباء وفلكيين، عملوا في البلاط العباسي منذ عهد المنصور وحتى المتوكل، وقد تولوا رئاسة بيمارستان بغداد، وأسهموا في إنشاء مناهج تعليمية طبية، وتنظيم دوائر الترجمة. امتدت أعمالهم إلى التأليف والترجمة،

خصوصًا في مجال الطب الإغريقي، كما شاركوا في المجالس العلمية للخلفاء، ما يبيّن مدى اندماجهم في النسيج العلمي الإسلامي(Brockelmann, 1947, :p.189)؛ (الزركلي، ٢٠٠٢:١٤٥)

● آل ماسويه برز منهم يوحنا بن ماسويه، الطبيب والعالم النصراني الذي ترأس بيت الحكمة في بغداد في عهد المأمون، وأشرف على ترجمة عشرات الكتب من السريانية واليونانية إلى العربية، كما ألّف كتبًا في الطب، والعيون، والحميات، تُعدّ من أمهات الكتب الطبية. وكان يحظى بتقدير الخلفاء، ويُعد من أبرز الشخصيات العلمية في القرن الثالث الهجري، وقد دُوّنت سيرته ضمن كتب الطب الإسلامية (الخطيب، ٢٠٠٣ :١٣٢) ؛ (Nasr, 2001 :p.150)

● ثابت بن قرة وأسرته يُعد ثابت بن قرة أحد أبرز علماء الصابئة في حران، وقد اشتغل بالرياضيات والفلك والهندسة والطب، وصحّح كثيرًا من مفاهيم إقليدس وبطليموس. أسهم في إنشاء جداول فلكية دقيقة، وترجم كتبًا فلسفية مهمة. عمل ضمن فريق علمي في بيت الحكمة، وكان معترفًا بكفاءته لدرجة أن خلفاء بني العباس منحوه حرية التدريس والتأليف، كما تولّى ابنه سنان وأحفاده مناصب علمية لاحقًا (Endress, 2006, p.159)؛ (النجدي، ٢٠١٥ :١٤٤).

● ابن العبري (غريغوريوس أبو الفرج) فيلسوف ولاهوتي سرياني، عاش في القرن السابع الهجري (١٣م)، وكان يتقن العربية والسريانية واليونانية والفارسية، وألف كتبًا في الفلسفة والمنطق والتاريخ، وبعضها بالعربية. شارك في الحياة الثقافية في المشرق الإسلامي، وامتد تأثيره إلى المؤرخين المسلمين. مثّل نموذجًا للعلماء الذين جمعوا بين التراث المسيحي والتراث الإسلامي في إطار معرفي موحد(Gutas, 2001 :p.114) ؛ (السباعي، ٢٠٠٧ :٨٩)البيئة العلمية والمجالس المناظرة كانت المجالس العلمية والمناظرات الفكرية تُقام بشكل دوري في قصور الخلفاء أو المساجد الكبرى، ويُدعى إليها العلماء من مختلف الديانات والمذاهب. وكان يُنظر إلى العلم بوصفه قيمة مشتركة، لا حكرًا على طائفة دون أخرى. وقد شارك في هذه المجالس علماء غير مسلمين، خاصة في موضوعات الطب، الفلك، المنطق، الفلسفة، واللغات.كما كانت دور العلم والمكتبات مفتوحة للجميع، ومن الأمثلة على ذلك: مكتبة العزيز بالله الفاطمية، وبيت الحكمة العباسي، ومكتبة قرطبة، وكلها احتوت مؤلفات لمترجمين ومؤلفين من اليهود والنصارى. وقد تم توظيفهم رسميًا في هذه المؤسسات، بل وشُجعوا على التأليف والتعليم ضمن المناهج الرسمية(Morrow, 2012 :p.92) ؛ (مقدسي، ٢٠٠٦ :٥٩)

● **إسهام العلماء في بناء المدن الإسلامية وتخطيطها** كان لتخطيط المدن في الحضارة الإسلامية أبعاد حضارية عميقة، لا تقتصر على الجانب الإنشائي والعمراني فحسب، بل تشمل أيضًا الجوانب الاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، والصحية .ولم يكن تنفيذ هذا التخطيط ممكنًا دون مشاركة طيف واسع من الخبراء، بمن فيهم العلماء المعماريون والفنيون من غير المسلمين، ممن شاركوا في بناء البنى التحتية، وتطوير النظم المائية، وتصميم المؤسسات التعليمية والصحية، وتنسيق المدن الكبرى.وقد نشأت المدن الإسلامية الكبرى—مثل بغداد ودمشق والقاهرة والفسطاط وقرطبة وسمرقند- ضمن رؤية حضارية شاملة، راعت الموقع الجغرافي، واحتياجات السكان، والبنية المؤسسية، والوظيفة الدينية، وطبقت أنظمة دقيقة في تقسيم الأحياء، الأسواق، شبكات الصرف الصحي، المرافق العامة، وهي كلها مجالات استلزم نجاحها توظيف مهندسين ومهنيين ذوي خبرات عالية، بمن فيهم النصارى واليهود والصابئة

● بغداد: المدينة المدورة ومهندسوها غير المسلمون

تأسست بغداد عام ٧٦٢م بأمر من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، واختير لها تصميم دائري محاط بالأسوار والبوابات، وهو تصميم فريد مستوحى من الهندسة الساسانية. وقد استعان المنصور بمجموعة من المهندسين الفرس والسريان، على رأسهم نوبخت الفارسي ومشورق النصراني، وهما من ذوي الخبرة في تخطيط المدن والنجوم. وقد أشرف هؤلاء على تحديد محيط المدينة، واتجاهات البوابات، وتوزيع الحارات على أساس الوظيفة والمكانة الاجتماعية (Creswell, 1958 :p.75)؛ (Miquel, 1991 :p.117)كما جرى توظيف علماء غير مسلمين في تصميم بيت الحكمة، والبيمارستانات، ودار العلم، والمراصد، وهي مؤسسات كان لها طابع وظيفي علمي، وكانت تتطلب معرفة دقيقة بالهندسة والهيدروليك، وهي مجالات تفوق فيها عدد من النصارى والصابئة الذين نقلوا خبراتهم من مدارس جنديسابور ونصيبين (الشمري، ٢٠١٨ :١٠٠) ؛ Endress, 2006, p.167).

● قرطبة وغرناطة: التعايش العمراني بين المسلمين واليهود في الأندلس الإسلامية، خاصة في قرطبة وغرناطة، بلغ التعاون العمراني بين المسلمين وغير المسلمين ذروته. كانت قرطبة مدينة علم وعمارة، تضم أكثر من ٣٠٠ مسجد، و٧٠٠ حمّام، و٨٠ مدرسة، و٧٠ مكتبة عامة. وقد ساهم الحرفيون اليهود والنصارى في تصميم وزخرفة المساجد والقصور، حيث عملوا في ورش البلاط والخزف والنقش والفسيفساء. وقد ورد في السجلات

الأندلسية أنصناعًا من اليهود عملوا في زخرفة قصر الحمراء، وكذلك في صناعة النوافذ والزجاج الملوّن للمساجد الكبرى (Levi-Provençal, 1950, p.142؛ (Morrow, 2012, p.91)ولم تكن مساهمتهم مادية فقط، بل كان لهم رأي في بعض تفاصيل الوظائف الحضرية، مثل تنظيم الأسواق، توزيع المياه، بناء الحصون، وجباية الموارد، وقد اعتمدت الدولة الإسلامية في الأندلس على كفاءة هؤلاء الصناع دون تمييز، بل منحتهم الامتيازات مقابل الخدمات الحضرية، ما يدل على تسامح إداري واضح في بنية الدولة.

● الفسطاط والقاهرة: المعمار المشترك في أرض النيل في الفسطاط والقاهرة الفاطمية، استُعين بكفاءات معمارية قبطية في تصميم البيمارستانات والمباني العامة. وقد كان للأقباط خبرة متوارثة في فنون الحفر الخشبي، والمعمار الحجري، وتصميم القبب والمقرنصات .وقد شاركوا في بناء المؤسسات التعليمية مثل الجامع الأزهر، وفي زخرفة العديد من القصور والحصون الفاطمية، حيث تطورت مدرسة معمارية تجمع بين الرمزية الإسلامية والتقنية المسيحية(Creswell, 1958 :p.84)؛ (الشمري، ٢٠١٨ :١٠٢).

● إدماج غير المسلمين في مؤسسات التخطيط الحضري كان لغير المسلمين مكانة ضمن المؤسسات الرسمية التي تُعنى بتخطيط المدن، ومنها: ديوان المهندسين :الذي أدار مشاريع البناء والتشييد ديوان الحسبة :الذي راقب الأسواق، والمرافق العامة.الوقف الهندسي :الذي نظم توزيع الموارد لبناء المساجد والمدارس والحمّامات.وقد شغل غير المسلمين وظائف في هذه المؤسسات، سواء كمستشارين أو منفذين، واستُشيروا في المشاريع الكبرى، وأحيانًا كُلّفوا بإدارة بعض المنشآت (مقدسي، ٢٠٠٦ :٧٢) ؛ (Morrow, 2012 :p.93)

٢- **العلاقة بين العلماء والحركات الإصلاحية الإسلامية** لعب العلماء، منذ القرون الأولى للهجرة، دورًا حاسمًا في توجيه الحركات الإصلاحية داخل المجتمعات الإسلامية، سواء على مستوى العقيدة أو الفقه أو الاجتماع أو السلطة. وقد كان لهذا الدور طابع تشاوري تراكمي، يتميز بالتفاعل بين النصوص الدينية والمعارف العقلية، وبين التجربة الاجتماعية والتراث المعرفي. وفي هذا السياق، لا يمكن إغفال حقيقة أن عددًا من الأدوات المعرفية الأساسية التي استخدمها المصلحون المسلمون كانت مستندة إلى جهود فكرية شارك فيها علماء غير مسلمين، خاصة في ميدان الترجمة، والمنطق، والجدل.من أبرز السمات التي ميّزت الخطاب الإصلاحي في الإسلام أنه خطاب عقلاني حواري، يستند إلى الحجة والنقاش والنقد. وقد تطور هذا الخطاب في أحضان المدارس الكلامية مثل المعتزلة والأشاعرة والمرجئة، التي اعتمدت على أدوات عقلية ومنطقية، كثير منها تم نقله من الفلسفة اليونانية والمنطق الأرسطي بواسطة المترجمين السريان واليهود في العصر العباسي(Endress, 2006 :p.211) ؛ (Gutas, 2001 :p.85).

● دور المترجمين غير المسلمين في خدمة الإصلاح الفكري كان للمترجمين غير المسلمين، وعلى رأسهم حنين بن إسحاق، وابن ناعمة الحمصي، وقسطا بن لوقا، الفضل في نقل مفاهيم مثل:الجوهر والعرض العلية والسببية الاستدلال والقياس المنطقي الماهية والوجود إلى اللغة العربية، ما مكّن علماء الكلام المسلمين من تأسيس نظام منهجي عقلي متكامل، استخدموه في الدفاع عن العقيدة، والرد على الفرق المنحرفة، ومناقشة الفلاسفة، بل وتوجيه السلطة أحيانًا. وقد استفاد المصلحون الدينيون في العصر العباسي، والأندلسي، والفاطمي من هذه الأدوات في تأسيس خطاب إصلاحي واعٍ ومتماسك (Nasr, 2001 :p.127) ؛ (السباعي، ٢٠٠٧ :٩٣)

● التفاعل بين المذاهب ومدارس الترجمة أسهم هذا التفاعل أيضًا في تكوين ما يمكن تسميته بـ "البيئة الإصلاحية المتعددة الخلفيات"، حيث كان يتم تبادل الآراء بين العلماء المسلمين وغيرهم من الحكماء والمترجمين ضمن المجالس العلمية في بغداد، وبيت الحكمة، والمراصد، ودوائر الطب والفلك. بل إن بعض المصنفات الفلسفية التي كُتبت بالعربية، ومنها ما حمل مضامين عقلانية وإصلاحية، قد أُنتجت من قبل علماء مسيحيين ويهود، وأثّرت في مسار الجدل العقدي الإسلامي. وقد أكد ابن النديم في "الفهرست" أن عددًا من النصارى ساهموا في تأليف شروح للمنطق استُخدمت لاحقًا في المدارس النظامية(ابن النديم، ١٩٧٨:٢٧١) ؛ (مقدسي، ٢٠٠٦ :٦٦)

● العلاقة مع الحركات الاحتجاجية والاجتماعية في بعض المراحل، كان لغير المسلمين حضور في الدفاع عن قضايا العدالة الاجتماعية، والتصدي لانحراف بعض السلطات، من خلال الكتابة في الطب والسياسة والمجتمع بأسلوب إصلاحي ينسجم مع روح العصر. وقد حملت بعض أعمالهم مضامين إصلاحية وإن كانت مموهة أو رمزية، وأثرت في كتابات المفكرين المسلمين الذين تشكلت لديهم رؤية إصلاحية إنسانية شاملة، لا تقوم فقط على التصحيح الديني، بل تشمل العدالة والحرية والعقلانية.كما أن مدارس كـ الظاهرية، والمعتزلة، وبعض فقهاء الأندلس والمغرب استفادوا من التراكم المنطقي والفلسفي في الدفاع عن رؤاهم الإصلاحية، وهو تراكم ساهم غير المسلمين في تشكيله عبر الترجمة والتعليق والتحقيق (Fakhry, 2002 :p.82؛ (Brockelmann, 1947 :p.175).

ثانياً: التأثير الخارجي

١- انتقال العلوم الإسلامية إلى أوروبا عبر الأندلس

● **بيئة أندلسية متعددة الثقافات** شكّلت الأندلس الإسلامية، خصوصًا في مدن مثل قرطبة، طليطلة، إشبيلية، وغرناطة، فضاءً حضاريًا متنوعًا، احتضن المسلمين واليهود والنصارى، ووفّر لهم حرية المشاركة في النشاط العلمي والفكري. وكان هذا التنوع مصدرَ ثراء، أفرز مؤسسات تعليمية وترجمية مشتركة، مهدت الطريق لنهضة معرفية واسعة(Levi-Provençal, 1950 :p.142) ؛ (Levi-Provençal, 1950 :p.142)؛(Gutas, 2001 :p.112).(Gutas, 2001 :p.112)

● دور المترجمين غير المسلمين أبرز المترجمين الذين نقلوا العلوم من العربية إلى اللاتينية كانوا من اليهود والنصارى الذين يجيدون العربية واللاتينية معًا، ومنهم:جراردو الكريموني :ترجم أكثر من ٧٠ كتابًا في الطب والفلك والفلسفة.يوحنا الإشبيلي :(John of Seville) ترجم أعمال ابن سينا في الطب والمنطق.أبراهام بن عزرا :شارك في ترجمة النصوص الفلكية والرياضية.وقد عمل هؤلاء ضمن فرق ترجمة في طليطلة، برعاية حكومية كاثوليكية، مما يعكس اعترافًا أوروبيًا مبكرًا بقيمة الإنتاج العلمي الإسلامي (Fakhry, 2002: p.99)؛(Arnold 1913, :p.125) ؛ (Nasr, 2001 :p.141).

● المؤلفات المنتقلة إلى أوروبا من أهم المؤلفات التي أثرت في الفكر الأوروبي:كتاب "القانون في الطب "لابن سينا، استُخدم في مناهج جامعة مونبلييه حتى القرن ١٧. (Nasr, 2001:p.152) كتاب "الجبر والمقابلة "للخوارزمي، أسّس علم الجبر في أوروبا (Sarton, 1927:p.296).مؤلفات ابن رشد، لا سيما "تهافت التهافت"، أثرت في الفكر الفلسفي الأوروبي، وتُرجمت إلى اللاتينية والعبرية (Gutas, 2001 :p.203)؛ (Rénan, 1866 :p.42)

● طليطلة: مركز عالمي للترجمة بعد دخول الإسبان إلى طليطلة عام ١٠٨٥م، أصبحت المدينة مركزًا عالميًا للترجمة من العربية إلى اللاتينية. وقد دعمت الكنيسة هذه العملية بإنشاء مدارس لتعليم اللغة العربية، وتوظيف مترجمين من اليهود والنصارى المستعربين، والذين نقلوا كنوز الفكر الإسلامي إلى أوروبا(Levi-Provençal, 1950, :p.183)؛(Gracia, 2012, :p.104)

● التأثير في النهضة الأوروبية أثّرت هذه الترجمات في بناء المنهج الفلسفي والعلمي الأوروبي، وكان من أبرز من تأثروا بها:توما الأكويني : استخدم شروح ابن رشد في تفسير فلسفة أرسطو.(Fakhry, 2002, :p.104) روجر بيكون :تأثر بأعمال ابن الهيثم في البصريات والمنهج التجريبي(.Nasr, 2001, :p.159) رايموند لول :دمج المنطق الإسلامي في اللاهوت المسيحي.(Rénan, 1866, :p.47) (Fakhry, 2002, :p.104)؛ (Nasr, 2001, :p.159) ؛ (Rénan, 1866, :p.47)

٢- دور المفكرين المسلمين الحضاري بين الثقافاتلم تكن الحضارة الإسلامية مجرد مشروع داخلي للمسلمين، بل كانت حضارة تفاعلية عابرة للحدود الجغرافية والدينية، قادرة على التأثير في ثقافات متعددة، وعلى استقبال التأثير أيضًا. وفي هذا الإطار، أدّى المفكرون المسلمون—إلى جانب العلماء غير المسلمين العاملين في ظل الحضارة الإسلامية—دورًا محوريًا في تكوين بنية معرفية عالمية، تقوم على الحوار، والجدل، والترجمة، والنقد، والتجريب، والانفتاح، وهي مكونات ما يُعرف اليوم بـ "التلاقي أو التلاقح الحضاري" (Gutas, 2001, p.144) ؛ (Endress, 2006, p.189) لقد قامت هذه الثقافة على مبدأ أن المعرفة لا دين لها، وأن الحق يُقبل ممن جاء به، كما عبر عن ذلك الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ولذلك ازدهرت حركة الترجمة والتدوين في العصور العباسية والأندلسية، وشهدت مساهمة واسعة من غير المسلمين، وخصوصًا في الفلسفة، والمنطق، والطب، والرياضيات. ولم يكن هذا مجرد ترجمة حرفية، بل تفاعلًا معرفيًا بلغ ذروته في الفكر الإسلامي، الذي جمع بين المنطق اليوناني، والميتافيزيقا الإسلامية، والفكر الديني التوحيدي، ليؤسس لمنهج نقدي أصيل أثّر بشكل مباشر في أوروبا المسيحية لاحقًا (Nasr, 2001, :p.133)؛ (Fakhry, 2002, :p.117)

● المفكرون المسلمون كوسطاء حضاريين قام عدد من المفكرين المسلمين، مثل ابن رشد، والفارابي، وابن سينا، والبيروني، بدور الوسيط الحضاري بين التراث الكلاسيكي اليوناني وبين أوروبا اللاتينية.ابن رشد، بشروحه لكتب أرسطو، مكّن الأوروبيين من فهم الفلسفة القديمة بمنهجية عقلانية.

الفارابي، أعاد صياغة الفلسفة السياسية وفق نسق يجمع بين المدينة الفاضلة والشريعة.ابن سينا، قدّم تصورًا فلسفيًا للطب والنفس ما زال يُدرس حتى اليوم.وقد أطلق على هؤلاء في الغرب أسماء لاتينية، مثل Averroes (ابن رشدو) Avicenna (ابن سينا)، وأُدرجت مؤلفاتهم ضمن المناهج التعليمية للجامعات الأوروبية مثل باريس وبولونيا وأكسفورد، حتى القرنين السادس عشر والسابع عشر (Rénan, 1866, p.58)؛ (Sarton, 1927, :p.318).(Rénan, 1866, :p.58)؛(Sarton, 1927, :p.318) **استيعاب الغير في نموذج معرفي مشترك**

وما يُميّز الحضارة الإسلامية في هذا السياق أنها لم تستبعد العلماء غير المسلمين من النسق العلمي أو الفكري، بل احتضنتهم، وأدمجتهم في المؤسسات العلمية، ومنحتهم حرية البحث والتأليف. ومن الأمثلة البارزة:ثابت بن قرة (صابئي)، الذي طوّر الهندسة والفلك.حنين بن إسحاق (نصراني)، الذي ترجم وألّف في الطب والمنطق.ابن العبري (سرياني)، الذي كتب في الفلسفة والتاريخ، واعتمد عليه مؤرخو المسلمين.إن قبول هؤلاء في أعلى مراكز المعرفة الإسلامية، ومنحهم فرصًا للتدريس والنشر، يعكس الطبيعة العالمية والإنسانية للحضارة الإسلامية، التي سبقَت في ذلك كثيرًا من النماذج المعرفية الأخرى، بما فيها أوروبا نفسها، التي كانت في العصور نفسها تُقصي المخالف دينيًا وفكريًا (Morrow, 2012, :p.91)؛(Brockelmann, 1947, :p.182)

- التأثير في عصر الأنوار الأوروبي بلغ تأثير المفكرين المسلمين ذروته في عصر الأنوار الأوروبي (١٧–١٨م)، عندما استعادت أوروبا التراث العربي الإسلامي في الفلسفة والعلوم والتربية. وقد أشار فلاسفة مثل:مونتسكيو إلى النظام القانوني الإسلامي.فولتير إلى تسامح الإسلام العلمي.كانط إلى قيمة العقل التي تعززت من خلال كتابات الرشديين.وقد علّق المؤرخ الإسباني دون ميغيل أسين بلاثيوس بأن "الفكر الإسلامي، خاصة في الأندلس، كان أحد الجذور العميقة لمفاهيم الحرية والعقلانية في أوروبا الحديثة" (Asian Palacios, 1927, :p.213).(Asín Palacios, 1927, :p.213)؛(Gracia, 2012, :p.108)

الخاتمة

بعد هذه الجولة البحثية في المباحث الثلاثة، يتضح أن الحضارة الإسلامية لم تكن مشروعًا أحادي البُعد، أو منغلقًا على الذات الدينية للمسلمين فحسب، بل كانت فضاءً معرفيًا وإنسانيًا متعددًا وتشاركيًا، انخرط فيه العلماء والمفكرون من مختلف الأديان والثقافات، ممن عاشوا في كنف الدولة الإسلامية وشاركوا في بنائها وازدهارها.لقد تناول المبحث الأول الإطار النظري والتاريخي للحضارة الإسلامية، وبيّن أنها حضارة قامت على أسس ربانية، وعقلانية، وشمولية .فهي حضارة اعتمدت على الوحي الإلهي دون أن تُقصي العقل، واحتفت بالعلم والمعرفة كقيمة عليا. وتميزت هذه الحضارة بالتوازن بين الدين والدنيا، وبين الثابت والمتغير، وبين الوحدة والتعدد.أما في المبحث الثاني، فقد تركزت الدراسة على إسهامات العلماء غير المسلمين في تطور العلوم الإسلامية، وظهر بجلاء أن دورهم لم يكن ثانويًا أو عرضيًا، بل كان دورًا تأسيسيًا في مجالات الطب، والفلك، والفلسفة، والرياضيات، والمنطق، والعمارة. وقد عمل هؤلاء العلماء في مؤسسات الدولة، وشاركوا في إنتاج المناهج، وتطوير المفاهيم، وبناء المؤسسات العلمية.وفي المبحث الثالث، تم تحليل أثر هؤلاء العلماء في الحياة الداخلية للمجتمع الإسلامي، مثل التعليم، وبناء المدن، والحركات الإصلاحية، بالإضافة إلى دورهم الخارجي في نقل المعارف الإسلامية إلى أوروبا عبر الأندلس، وهو ما مهد لظهور النهضة الأوروبية في مجالات الفلسفة والعلم والمنهج.إن نموذج "العالم" في الحضارة الإسلامية لم يكن قائمًا على أساس ديني أو طائفي، بل كان قائمًا على الجدارة العلمية والانتماء المعرفي .وهذا ما جعل الحضارة الإسلامية الأولى من نوعها التي تستوعب التنوع وتحوّله إلى قوة معرفية، لا تهديدًا للهوية.

التوصيات:

تشجيع البحوث المتخصصة في دراسة إسهامات غير المسلمين في الحضارة الإسلامية ضمن التخصصات العلمية الدقيقة إعادة النظر في المناهج الدراسية لتسليط الضوء على البعد التعددي في تطور الحضارة الإسلامية.تعزيز الخطاب المعرفي الذي يربط الماضي بالحاضر ويؤسس لحوار ثقافي مبني على قيم التسامح والتكامل.لا تمثل هذه الدراسة محاولة لتوثيق ماضٍ منجز فحسب، بل هي دعوة لاستلهام هذا الماضي الحضاري الواسع لبناء مستقبل علمي مشترك، قائم على احترام الإنسان، وتقدير العقل، والانفتاح على الآخر.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد .المقدمة .بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٤.
- ابن النديم، محمد بن إسحاق .الفهرست .بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٨.
- الزركلي، خير الدين .الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين .بيروت: دار العلم للملايين، ط٥، ٢٠٠٢.
- السباعي، مصطفى .من روائع حضارتنا .بيروت: دار الوراق، ٢٠٠٧.
- الشمري، سليم عبد العزيز .الحرفيون غير المسلمين في العمارة الإسلامية .بغداد: دار ميزوبوتاميا، ٢٠١٨.
- الطه، حسين .في الشعر الجاهلي .القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٤.

- عطية، محمد حسين .الترجمة عند العرب: نشأتها وتطورها .القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠٠٩.
- عمارة، محمد .مقومات الحضارة الإسلامية .القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٦.
- الفاروقي، إسماعيل راجي .مبادئ المعرفة الإسلامية .الرياض: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٨٦.
- مقدسي، جورج .نشأة الكليات: معاهد التعليم العليا في الإسلام .ترجمة عاطف القطف. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦.
- النجدي، أحمد .دور غير المسلمين في العلوم في العصر العباسي .بغداد: مركز دراسات التراث العلمي، ٢٠١٥.
- الخطيب، عبد الكريم .العلم والحضارة في الإسلام .القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٣.
- **بدن، حامد هادي (٢٠٢٣)، وسائل تحقيق الإصلاح الفكري في ضوء العقيدة الإسلامية، مجلد ٢٢، العدد ٤٨، https://doi.org/10.54633/2333-022-048-010**

ثانياً: المصادر الأجنبية (مترجمة أو أجنبية)

- Arnold, Thomas. The Preaching of Islam. London: Constable & Co., 1913.
- Asín Palacios, Miguel. La Escatología musulmana en la Divina Comedia. Madrid: Real Academia de la Historia, 1927.
- Brockelmann, Carl. History of the Arabic Written Tradition. Leiden: Brill, 1947.
- Creswell, K.A.C. A Short Account of Early Muslim Architecture. Oxford: Clarendon Press, 1958.
- Endress, Gerhard. The Classical Heritage in Islam. London: Brill, 2006.
- Fakhry, Majid. A History of Islamic Philosophy. New York: Columbia University Press, 2002.
- Gutas, Dimitri. Greek Thought, Arabic Culture: The Graeco-Arabic Translation Movement in Baghdad and Early Abbasid Society. London: Routledge, 2001.
- Gracia, Jorge J. E. Philosophy in the Middle Ages: The Christian, Islamic, and Jewish Traditions. New York: Springer, 2012.
- Levi-Provençal, Évariste. Histoire de l'Espagne Musulmane. Paris: Maisonneuve, 1950.
- Miquel, André. La Géographie humaine du monde musulman jusqu'au milieu du 11e siècle. Paris: Mouton, 1991.
- Morrow, John Andrew. The Covenants of the Prophet Muhammad with the Christians of the World. USA: Angelico Press, 2012.
- Nasr, Seyyed Hossein. Science and Civilization in Islam. Harvard University Press, 2001.
- Rénan, Ernest. Averroès et l'Averroïsme. Paris: Calmann Lévy, 1866.
- Sarton, George. Introduction to the History of Science, Vol. 1. Baltimore: Carnegie Institution, 1927.